صدام الحضارات

د.حسين طلال مقلد

المخطط

- بين الحضارة والثقافة
- مفهوم الحضارة وسماتها
- مفهوم الثقافة
- التمهيد لنظريات صدام الحضارات
- نهاية التاريخ ونقدها
- صدام الحضارات ونقدها

بين الحضارة والثقافة

- ثمة تعريفٌ للثقافة طرحه النمسوي غوستان فون غرونبوم يصفها بأنها «الجهد المبذول لتقديم مجموعةٍ متماسكة من الإجابات عن المآزق المحيرة التي تواجه المجتمعات البشرية في مجري حياتها، أي هي المواجهة المتكررة مع تلك القضايا الجذرية والأساسية التي تتم الإجابة عنها عبر مجموعة من الرموز، فتشكل بذلك مركباً كلياً متكامل المعنى، متماسك الوجود، قابلاً للحياة».
- الكل المعقد الذي يشمل المعارف والمعتقدات والفنون والاخلاق والقوانين والعادات والتقاليد والفلسفة والأديان والمواهب والعادات التي اكتسبها الانسان من مجتمعه الذي يعيش فيه .
- الحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي ,وهي تتألف من الموارد الاقتصادية والنظم السياسية ,والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون ,وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء .
- الفيلسوف الألماني هيغل استعمل اللفظين (الحضارة والثقافة)يلا تمييز بينهما.
- شارل سبندوبوس : «الحضارة ليست الروح فحسب، بل هي أيضاً الطرق والموانئ والأرصفة. إنها كل المعرفة والخبرة البشرية المكتسبة»، ثم جاء المؤرخ كافينياك ليقول: «الحضارة حد أدنى من العلوم والفنون والنظم والفضائل».
- الحضارة على أنها طائفة من معارف فنية تتخذ منهجاً محدداً، وممارسة عملية، تنصرف إلى مجموعة من الوسائل والطرق التي تمكن البشر من التعامل مع الطبيعة.

civilization الحضارة

- **الإنتاج الفكري والنشاط المادي والسلوك العام لمجموعة معينة من الناس في حقبة زمنية معينة.**
- **الإنتاج الفكري** :كافة النشاطات العلمية والأدبية والفلسفية الحقوقية والفنية
- **الإنتاج المادي** :إنشاء البني التحتية والفوقية والثراء المادي للفرد والمجتمع
- **السلوك العام** :يمثل السلطة الحاكمة والنظم السياسية والمفاهيم الاجتماعية للمجتمع والقيم والتقاليد التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع

ديورانت : الشرق نقطة لانطلاق الحضارات الإنسانية

- :«إن قصتنا تبدأ بالشرق، لا لأن آسيا كانت مسرحاً لأقدم مدنية معروفة لنا فحسب، بل كذلك لأن تلك المدنيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية، التي ظن (البعض) خطأ أنها المصدر الوحيد، الذي استقى منه العقل الحديث، فسيدهشنا أن نعلم كم مخترعاً من ألزم مخترعاتنا لحياتنا، وكم من نظامنا الاقتصادي والسياسي، ومما لدينا من علوم وآداب، وما لنا من فلسفة ودين، يرتد إلى مصر والشرق... والتعصب الإقليمي الذي ساد كتابتنا التقليدية للتاريخ، الذي تبدأ روايته من اليونان، وتلخص آسيا كلها في سطر واحد، لم يعد مجرد غلطة علمية، بل ربما كان إخفاقاً ذريعاً في تصوير الواقع، ونقصاً فادحاً في ذكائنا».

فرناند بروديل في كتابه الأثير «تاريخ وقواعد الحضارات“
هناك عناصر عدة تتحدد بها الحضارات:

- الجغرافيا: لا بد لكل حضارة مهما صغرت أو كبرت من أن ترتبط بأرض ما، أمدتها بمتطلبات وميزات أتاحتها تلك الرقعة الجغرافية، على المستويين الطبيعي والبشري، ومنحت بها الناس «المادة الخام» للفعل الحضاري.
- الناس: فلا توجد حضارة من دون بشر أو مجتمعات تدفعها إلى الأمام، وتطورها، وتقدمها للآخر والتاريخ، والحضارة ليست سوى المرآة التي تنعكس عليها أحداث مجتمعها أو السجل الذي يحفظ للمجتمع ملامحه، بكل اختلافاتها.
- الثروة: فالحضارات لا بد لها من أن تُنجز اقتصادياً وتقنياً، لتحوز القوة بشقيها الصلب والناعم، وتضمن الاستمرار أطول فترة ممكنة من الزمن. وكثير من الحضارات القديمة لم تعش طويلاً لأنها اعتمدت فقط على الطاقة الروحية، ولم تدرك منزلة الصناعة، أو تخلق «المجتمع الصناعي» الذي يستخدم العلم والتقنية على أوسع نطاق ممكن. والكثير من الحضارات أخذ نجمها في الأفول حين تدهورت حالتها الاقتصادية.
- الثقافة: حيث إن كل حضارة تعتمد على تنمية وتعزيز الكل المعقد الذي يشمل المعارف والقيم والمشاعر والسلوك وطرائق الحياة والمعتقدات، والذي يعني جميعاً الثقافة. وتتفاوت حظوظ الحضارات في ميلها إلى العقل أو إلى الروح، فعلى الأول قامت حضارات، وعلى الثانية قامت أخرى.

فرناند بروديل في كتابه الأثير «تاريخ وقواعد الحضارات“ هناك عناصر عدة تتحدد بها الحضارات:

- العقلانية: فالقاسم المشترك بين الحضارات الإنسانية جميعاً هو الاحتكام إلى العقل في قبول ما يقبله الناس، وفي رفض ما يرفضونه. وهذه العقلانية هي التي تراها ماثلة في كل حضارة مهما اختلف لونها، ولا تراها في أي جماعة بدائية مهما تعددت بعد ذلك صفاتها. ولا يعني هذا أن أي حضارة في وسعها الاستغناء عن عالم الشعور بكل ما يفيض به من فنون وآداب وغيرهما، ولكن إن كان عالم الشعور ضرورياً لكل حضارة، فهو لا يكفي بمفرده، والعقل دون سواه هو الجانب الضروري والكافي معاً لتعريف الحضارة وقياس درجاتها.
- الخبرة: فالحضارات الإنسانية تتوارث مجدها وإمكاناتها، ويركب بعضها بعضاً في رقائق متتابعة عبر التاريخ البشري المديد. كما أن كل حضارة في حد ذاتها لا تفنى كلية، وإن تخلفت عن الركب، وسلمت الراية لغيرها، بل يبقى هناك أثر موجود ينقله جيل إلى جيل. فلا يزال لدى المصريين المعاصرين نصيب من الحضارة الفرعونية، والأمر نفسه ينطبق على أحفاد الآشوريين والبابليين والصينيين والهنود. ويظهر هذا الوضع بجلاء إن أمعنا النظر في الحضارة العربية - الإسلامية، التي أفل نجمها، لكن لا يزال العرب والمسلمون يقتاتون على عطائها الروحي والقيمي، الذي لم ولن يفنى.

مصطلحات

- أما الثقافة فتعني المبادئ المعيارية، والقيم والمثاليات، المرتبطة بالروح والعقل.
- **تتألف من العادات التقاليد الطعام الدين التاريخ والإمكانية على تعلم الفرد وقدرته على نقل ما تعلمه الى الاجيال القادمة**
- **دخول العنصر الثقافي أو المعيار الثقافي والحضاري في تركيبة النظام الدولي بطريقة وزخم غير مسبوقين، بطريقة غير منهجية، منظمة، إنما دخل العنصر الثقافي العلاقات الدولية بطريقة عنيفة ودامية.**
- **هناك تعارض بين ثقافة الاستهلاك وثقافة الإثراء، وهى ثقافة ذات قيم ثابتة لا تنغلق على نفسها، بل تعبر الزمان والمكان، وتشارك فى الثقافة الإنسانية بمعناها الواسع.**

الانحباس الحضاري

- وهو الذي يسيطر على بيئة العلاقات الدولية والبشرية الراهنة عبر تفاقم الأفكار المدمرة ,وتفاقم السياسات الأكثر تدميرا .
- دائما تم تغييب سؤال وهو انه داخل كل حضارة مفترضة يعاني من خراب مخيف وأن إصلاح تلك الدواخل لايقل أهمية ,إن لم يسبق ,أهمية إصلاح الخراب بين تلك الحضارات
- هل تقبل أوروبا المسيحية بعضوية تركيا المسلمة ؟
- انه تحدي الحدود الدامية المتصادمة التي خطها هنتغتون في تقطيعه للحضارات وحشرها وراء تلك الحدود .
- لماذا سميت القنبلة الباكستانية بالإسلامية .
- فكيف للحضارات ان تتصادم أو تتحالف ؟من هم الناطقون باسم كل حضارة؟
- شركة موانئ دبي العالمية

التمهيد للنظريات الصدامية

1. بعد انهيار جدار برلين، ركز معظم المفكرين علي انتصار الرأسمالية الليبرالية وبداية نظام عالمي جديد، مهد للعولمة
2. كان وراء الحروب والأحداث الداخلية في جميع مناطق العالم، عوامل داخلية وخارجية، ازداد فيها تأثير العامل الخارجي الدولي.
3. إرادة البحث عن هوية والعودة إلى فيافيها، رغبة أفرزتها متغيرات العصر، حيث شهدت مرحلة التسعينات
4. (أزمة هوية كونية)، (من نحن)؟، (لمن ننتمي)؟، (من هو الآخر)؟
5. أحداث أيلول 2001 شكلت منعطف ايديولوجي في السياسة الأميركية .

نظريات صداميه

- ديفيد لاندس :أن الفارق في تقدم البعض وفي تخلّف البعض الآخر هو ثقافي، حضاري أو ديني.
- لماذا تتطور بعض الإقتصادات ولا تتطور إقتصادات أخرى؟
- أن العنصر الثقافي والحضاري والديني هو العنصر الأساسي
- رئيس وزراء إيطاليا السابق بيرلسكوني :هناك هرمية بين الحضارات ، بمعنى أن هناك عدداً من الحضارات هي في قمة السلم وهناك حضارات أخرى ولأسباب متعددة هي في قعر السلم البشري.
- 62% من الطليان مقتنعون بما قاله بيرلسكوني .
- الروسي حيدر جمال يقول :إن صراعات الحضارات تقوم على أساس ديني بحت، بمعنى تحالف الأرثوذكس مع المسلمين ضد الغرب الذين هم بروتستانت ولاتين، وأفكاره شائعة جداً في روسيا.

المستشرق برنارد لويس

- صاحب فكرة صدام الحضارات من خلال مقال له في 1990 :"جذور الغضب الاسلامي "
- مشكلة العرب تكمن في عجزهم خلال قرنين عن النهوض التقدم مع الغرب مثل ما فعلت اليابان والصين والهند
- كل ذلك دفع الإسلاميون إلى معاداة الحداثة والتطرف ومضغ الهزائم .
- المسلمون :بعيدون عن المقاربة العقلانية والسياسية للعالم
- المسلمون مصابون بنوع من الحنق العضوي ضد الغرب بسبب فشلهم التاريخي في السيطرة وشعورهم بالدونية تجاه الغرب
- يتغذى هذا العداء من المرتكزات الدينية الإسلامية والمجابهات القديمة بين الحضارتين والعداء لأمريكا بسبب نظرة الاسلام المعادي للقيم الأميركية
- "الشرق الأوسط على العموم منطقة محبطة لايمكن ان تتغير إلا بفعل ثلاثة عوامل :إسرائيل ،تركيا ،النساء ".
- لا يوجد رأي عام ويجب استبدال الأنظمة غير القادرة على إحلال السلام
- لماذا يكرهوننا إلى هذا الحد ؟مالذي فعلناه وأسأنا فيه إليهم؟إن الضغينة والحقد الكامن في العالم الإسلامي متأتٍ من القوة والنجاح التي حققتهما الولايات المتحدة .
- السبب الرئيسي للاحتقار, الذي يكنه العالم الإسلامي للولايات المتحدة والغرب, هو ما يصفونه بالتحلل والتفسخ الإخلاقي, الذي يتسم به الأمريكي في الحياة

المحافظون الجدد ودورهم في صناعة صدام الحضارات

- لعب المحافظون الجدد من اليمين المتطرف في داخل الحزب الجمهوري والمتحالف مع اللوبي الصهيوني وتتركز عناصره الأساسية في إدارة بوش في داخل البنتاغون ، دورا محوريا في دفع إدارة بوش لاتخاذ سياسات متطرفة ضد العالم العربي والإسلامي
- تجمعهم ايديولوجيا التعصب القومي الأمريكي والإيمان بأحادية القطب والحرب الوقائية وحق امريكا بالتدخل المنفرد في العالم (تشكل موازنة البنتاغون 45%من الانفاق العسكري العالمي) الحرب الوقائية تحتل موقعا
- جميع الحدود مفتوحة أمام الثقافة الامريكية بسبب التكنولوجيا والاتصالات والحدود المقفلة قابلة للكسر فأمريكا تسيطر على 60 %من اسطوانات الموسيقا المسجلة 32 %من الكتب المنشورة -75%من البرمجيات
- "على امريكا ألا تخجل من فعل أي شيء للحفاظ على مصالحها الثقافية والسياسية "

فرانسيس فوكوياما
The end of history and the last man 1992

- ”ما نشهده اليوم ليس فقط نهاية التاريخ أومرحلة انتقالية بعد الحرب ،ما نشهده هو نقطة النهاية للتطور الايديولوجي للبشرية وتعميم الليبرالية الديمقراطية الغربية على مستوى العالم كشكل نهائي للحكومة الإنسانية”.
- الولايات المتحدة هي التي بدت تسطر نهاية التاريخ بعد تبنيها للفكر المتحرر والديمقراطية والرأسمالية للعالم.
- الليبرالية الجديدة هي المنهج الجديد ومنظمة التجارة العالمية هي الحارسة لحرية الأسواق والتبادل التجاري .
- علي العالم أن يتقبل النظام الجديد بكل ما فيه من حرية ما من وجود لمنافسة إيديولوجية للديمقراطية الحرة .

فوكوياما :"هدفهم العالم المعاصر "

- "العدو الحقيقي أصبح المسلمون المتطرفون المتعصبون لكل خلاف وشقاق ,هم فاشست يومنا الحالي ,وهذا مانقاتل ضده".
- "تقوم أعداد كبيرة من المسلمين بالتعبئة ضد الولايات المتحدة "
- "أننا نشاهد بداية صراع الحضارات "الذي "يستمر عقوداً طويلة يقف فيه الغرب ضد الإسلام ,صراع ينطلق بعنف من المستنقع الأفغاني ليغمر مناطق عديدة من العالم ".
- "العصرنة ,كما تمثلها الولايات المتحدة والديمقراطية المتقدمة الأخرى ستبقى القوة المهيمنة في عالم السياسة ,فيما ستستمر القوانين المتضمنة قوانين الغرب الأساسية في الحرية والمساواة بالانتشار حول العالم ,وأياً كان الأمر ,فإن هجمات 11 أيلول تمثل تراجعاً يائساً تجاه العالم المعاصر ,الذي يبدو أنه سيكون بمثابة قطار شحن سريع بالنسبة لأولئك الذين لايرغبون الركوب فيه ".
- يختتم "إن الصراع الدائر بين الديمقراطية الليبرالية الغربية والإسلامية الفاشية ليس صراعاً متكافئاً بين نظامين حضاريين قابلين للتطور ,فكلاهما يتمكن من إخضاع العلم والثقافة لأغراضه ,ويحصل على الثروة ,ويتعامل مع الواقع المتباين للعالم المعاصر .وفي جميع هذه النواحي ,فإن العادات الغربية تحتفظ بكل الأوراق .لهذا السبب سنواصل الانتشار عبر العالم في المدى البعيد .ولكن إلى أن نصل إلى هذا المدى البعيد ,فإنه لابد وأن نحافظ على وجودنا من خلال الإرادة على القتال من أجل القيم التي تجعل الحصول على المجتمعات الديمقراطية الحديثة أمراً ممكناً".

مقالة فوكوياما "أوربا وأمريكا : علاقات آيلة للتصدع".

- " الإسلام" يمثل أكبر تحد أيديولوجي للديمقراطية الغربية , وهو أخطر من التحديات التي كانت تمثلها الشيوعية ولا يمكن تخيل أن الإسلام السياسي الذي يقدم الكثير من البدائل الواقعية كأيديولوجية حاكمة في مجتمعات العالم الحقيقي .
- أحداث الحادي عشر من أيلول وتوابعها ستؤدي إلى " صراع الحضارات" وتشكل قلقاً حقيقياً, يجب العمل على أن لا يتحول ذلك إلى صراع وتفسيره بهذا الاتجاه. إلا أنه ومن خلال إعادة قراءة مقالته : " هدفهم .. العالم المعاصر" نجد أنه يدعو إلى توسيع دائرة الحرب لتشمل العراق ودولاً إسلامية أخرى , الأمر الذي يؤكد فشل " افتراضاته " التي طرحها في مطلع عقد التسعينيات حول نهاية التاريخ لـ" نهاية التاريخ" , لا بل أدى إلى " التحول من أسلوب فرض القانون ... إلى أسلوب الأمن القومي " الذي تمت مصادرة كل الحقوق والحريات الأساسية لأجله ". ولكن فوكوياما الذي مازال متمسكاً برأيه ومن خلال البيان الذي وقعه مع عدد من المثقفين الأمريكيين حول " الحرب العادلة" يبدو أنه مصر على الديمقراطية الليبرالية لا يمكن أن تتعايش مع " الإسلام الراديكالي" أو أن توفق بينهما . فهذا العالم ليس فيه مكان إلا " للديمقراطية الليبرالية " وإذا سادت " الراديكالية الإسلامية " فإنها ستكون " نهاية نهاية التاريخ" ومن هنا يجب على الغرب إدراك " حجم المخاطر التي تتعرض لها المجتمعات التقانية الحديثة .

يقول الكاتب بيتر كونراد في عرضه كتاب فوكوياما في **الأوبزرفر** البريطانية,

- " إن الضجة التي يثيرها فوكوياما عن موضوع العقول المعدلة " كيميائيا" وعقار "بروزاك" هي ضجة أكثر سخافة من كل ما سبقها .. وبخاصة ما يتعلق منها بقوله إن الضعفاء من البشر يجب تصنيفهم في مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان , وهو ما يتماشى مع فكر النازيين الذين كانوا هم أيضا يصنفون من لا يروق لهم من البشر في تلك المرتبة . ويقول إن هذا بالضبط مايفعله فوكوياما , عندما يصنف مجموعات معينة من البشر في مرتبة " ما بعد البشر " كما هو وارد في عنوان كتابه.

نهاية التاريخ ؟؟

- وبعد مرور عشرة سنوات على صدور كتابه "نهاية التاريخ ",أكد فوكوياما أنه مخطئاً,وإن التاريخ لم ينته لأن العلوم لم تصل بعد إلى النهاية ,أي أنها لم تفسّر بعد كل شيء,ولم تجعلها ممكنة بعد وحقيقة عملية الرقابة العقلية على مختلف جوانب الحياة البشرية .فطالما أن العلوم الطبيعية والاجتماعية لم تتوصل بعد إلى إقامة تنظيم عقلاني لمصلحة الخير العام ستبقى المناقشات والاقتراحات المتباينة حول طريقة المباشرة بالعمل .وهذه الآراء والاقتراحات ستبقى بمثابة إيديولوجيات ,وليست جزءاً من علم اجتماعي عقلاني ,طالما بقيت تعكس مصالح جماعات متمتعة بخصوصيات معينة .
- ويؤكد سيناركلنز :"إن الخطب المتعلقة بنهاية التاريخ ,منذ القرن التاسع عشر ,هي من طبيعة إيديولوجية لأنها تبرر التطورات البنيوية القائمة بتأكيد صفتها المحتملة ".وتجهد هذه الخطب في إعطاء ركيزة علمية ,خاصة في معرض امتداحها للسوق ووفي تحليلاتها للدفاع عن مصالح الشركات عبر الوطنية ,وذلك بتشريعها للخيارات السياسية .

The clash of civilization Remaking of World Order

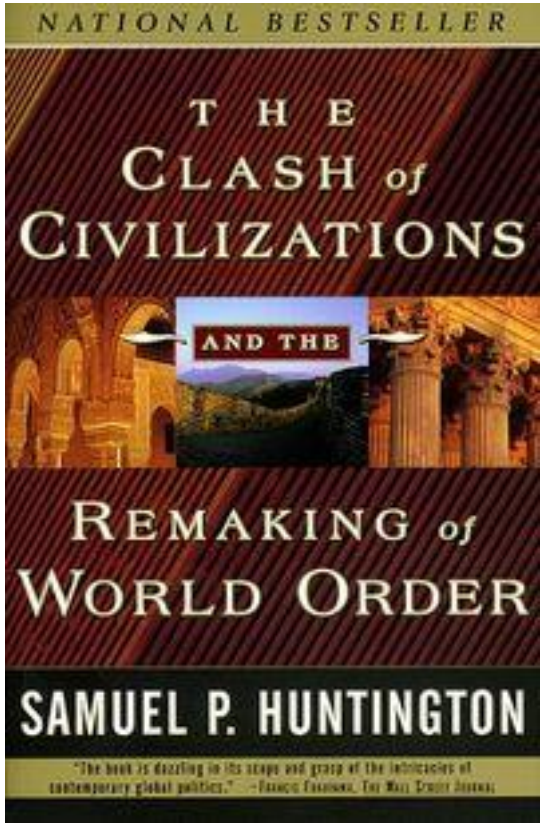

صموئيل هنتغتون

- **نظرية طرحها صموئيل هنتجتون وتم توظيفها سياسة أمريكية تبنت هذه النظرية لبناء سياسة خارجية تبنتها ادارات كل من كلينتون وجورج بوش الابن لإدارة حربه على الإرهاب والتطرف**
- **هو ليس مدخل للتحليل تتمحور حول ان المناطق الساخنة هي بين الحضارات وان الدول القومية ستستمر .**
- أعاد صمويل هنتنغتون دمج المفهومين ليعرّف الحضارة بأنها «الكيان الثقافي الأوسع، الذي يضم الجماعات الثقافية مثل القبائل والجماعات العرقية والدينية والأمم، ولذا فالحضارة هي بمثابة القبائل الإنسانية الكبرى». "الحضارة كيان ثقافي ،وهي أعلى تجمع ثقافي للناس وأوسع للهوية الثقافية للشعب وهي تتحدد في آن معا بالعناصر الموضوعية المشتركة مثل اللغة والدين والتاريخ والعادات والمؤسسات ".

تقسيم الحضارات

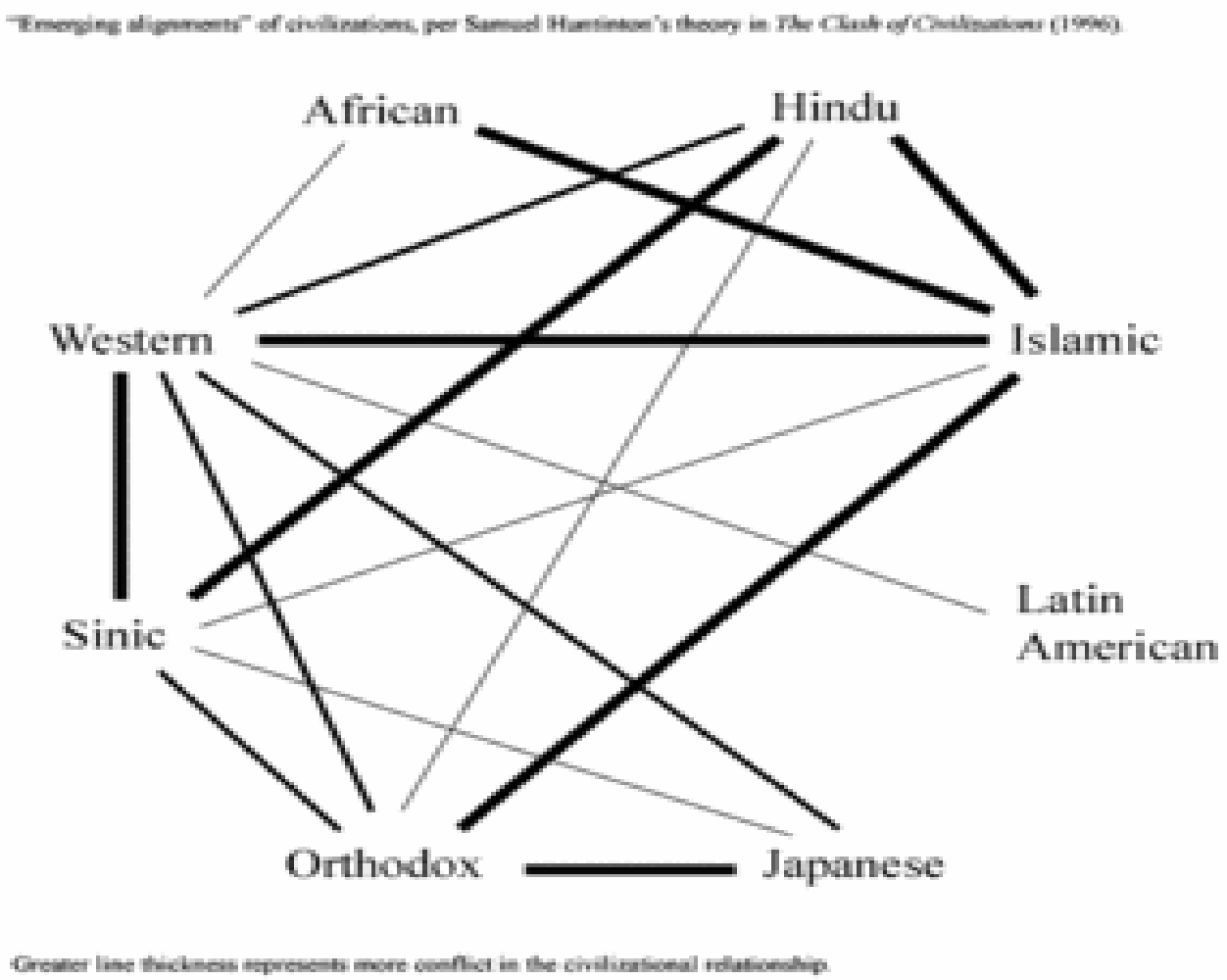

تقسيم الحضارات

clash of civilization? foreign affairs1993

- ما يحكم العلاقة بين تلك الحضارات هو "الصدام"، على أساس الثقافة أو الهوية التي تحكم كل حضارة، في عالم ما بعد الحرب الباردة.
- "النزاع الأصلي في العالم الجديد لن يكون إيديولوجيا، اقتصاديا، بل سيكون ثقافياً على مستوى الانقسامات العظيمة للإنسانية.وستحصل النزاعات السياسية الدولية بين الأمم والمجموعات من حضارات مختلفة "صدام الحضارات سيكون خطوط المعركة في المستقبل".
- مصادر النزاع تعود إلى اختلاف التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد، والأكثر أهمية الدين.
- ستبقى الدول القومية هي الأكثر قوة في الشؤون العالمية، لكن النزاعات الدولية ستحصل بين الأمم والمجموعات من حضارات مختلفة.

من محدّدات نظرية «صراع الحضارات»

ولا يتردّد هانتنغتون في التصريح بأنّ: «مما تفرضه نظرية (صراع الحضارات) أن منشأ الصراع في هذا العالم الجديد لن يكون أيديولوجيًّا أو اقتصاديًّا في المقام الأول، وإنما سيكون الجانب الثقافي هو العامل الرئيس لانقسامات ونزاعات كبيرة بين مختلف المجتمعات البشرية. وهذا لا يعني [من ناحية أخرى] أفول نفوذ الدول القومية، بل ستبقى جهات فاعلة وذات نفوذ بارز على مستوى الشؤون العالمية، ولكن النزاعات الرئيسة في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات من مختلف الحضارات. ولذلك سيكون صراع الحضارات هو المهيمن على السياسة العالمية، وإن خطوط التماسّ بين الحضارات ستكون هي خطوط النزاعات مستقبلاً».

---

(١) القبائلية/ العشائرية تعني امتلاك هوية ثقافية أو عرقية قومية تفرض على الإنسان أن يتميّز عن مغايريه من المجموعات الأخرى بناءً على انتمائه القبلي أو العشائري. وهو شرط مسبق لأعضاء أي قبيلة يتملّك أعضاؤها ذلكم الشعور القوي بالانتماء لمجتمعهم القبلي ووفائهم له.

(٢) ما يُراد هنا من فكرة (تبديد الدولة) هو الحدّ من سلطات الدولة في أي مجتمع لصالح مؤسسات المجتمع المدني، وهي قريبة نوعًا مّا من فلسفة اللاسلطوية (Anarchism)، وهي فلسفة كان من أوائل من نادى بها المفكر البريطاني وليام غودوين (William Godwin) (١٧٥٦ – ١٨٣٦م)، وهي فلسلفة تتهم الدولة باللاأخلاقية، وتعارض السلطة في تسيير العلاقات الإنسانية. كما تدعو إلى تَراجُع مركزية الدولة، وتُعلي من شأن الإدارة الاجتماعية القائمة على مركزية الفرد. ويرجع مفهومها المعاصر إلى التطوّرات التي طرأت على الإنتاج السلعي البسيط في العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي، وبخاصة في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا؛ حيث أصيب الرأسماليون الصغار بالسخط وخيبة الأمل لإفلاس مشروعاتهم الصغيرة والمتوسطة وعجزها عن مواجهة الاحتكارات الزاحفة وتركز رؤوس الأموال لدى طبقة محدّدة تساعدها أنظمة الدولة على تضخّم ثرواتها على حساب بقية أفراد المجتمع. ويدعو أنصار فلسفة اللاسلطوية إلى مجتمعات مبنية على أساس جمعيات تطوعية غير هرمية، ولا يتشكّلون ضمن نظام ومؤسسات الدولة. انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرّة، النسخة العربية، مادتي: (وليام غودوين) و(اللاسلطوية).

ويسوق هانتنغتون، في صفحات تالية، أكثر من دليل يعتمد فيه على فكرة غامضة هي ما يسميها «الهوية الحضارية» و«التفاعلات بين سبع أو ثماني حضارات كبرى» تتصارع فيما بينها، نال الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية نصيب الأسد من بينها جميعًا. وفي هذا النوع من الصراع الفكري، يعتمد هانتنغتون بشكل كبير على مقالة نشرت للمستشرق المخضرم برنارد لويس سنة ١٩٩٠، وهي مقالة ذات انتماء أيديولوجي واضح للعيان من خلال عنوانها: «جذور غضب المسلم». وفي كلتا المقالتين، هناك تجسيد لكيانات ضخمة سُميت دون أي نوع من التروّي «الغرب» و«الإسلام»، كما لو أن المسائل بالغة التعقيد، مثل الهوية والثقافة، مجسَّدةً في عالم الرسوم المتحرّكة، يدخل فيه (باباي) و(بلوتو) (Popeye and Bluto)[٣] في عراك مستمرّ بلا هوادة، يكون لأحدهما في نهاية المطاف اليد العليا على خصمه في حلبات الملاكمة الفاضلة. مع الجزم بعدم إيلاء المفكِّرَين هانتنغتون ولويس أهميةً لفحص الديناميات الداخلية لكل حضارة، مدّة زمنيّة طويلة، أو لفحص تلكم الصراعات الكبرى بين معظم الثقافات الحديثة بناءً على تعريف أو تفسير كل ثقافة. إنه تنفير مقصود قائم على قدر كبير من الغوغائية والجهل الفاضح من أجل الحديث عن الدين والحضارة بهذه العمومية الكبيرة. وهو أمر لا يمكن قبوله، ذلك أن الغرب يظل هو الغرب، والإسلام هو الإسلام، ولكل منهما محدّداته.

هنتغتون ..فماذا سيكون الحال

1. الفروق بين الحضارات ليست فروقا حقيقية فحسب ،بل هي فروق أساسية
2. العالم أصبح مكانا أصغر،والتفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة في تزايد وهذه تزيد وعي الحضارات لنفسها وإدراكها للفروق بين الحضارات
3. عملية التحديث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي تفصل الشعوب عن الهويات المحلية القديمة الراسخة وتضعف الدولة وتفتح المجال للدين ليملأ الفراغ
4. يتعزز الوعي بالحضارة نتيجة الوعي المزدوج للغرب (التغريب مقابل الترويس – الانكفاء نحو الداخل ،نهاية ميراث نهرو وإضفاء طابع هندوسي الخصائص والفروق الثقافية أقل قابلية للتبديل من نظيرتها الاقتصادية والسياسية (الدين يفصل بين الناس أكثر من العرق).
5. النزعة الاقليمية الاقتصادية آخذة بالتزايد

نظرية هنتغتون

- ”ظل الصراع على امتداد خط الصدع بين الحضارتين الغربية والإسلامية مستمرا (منذ انتهاء اكتساح العرب للغرب في تور 732).
- الحضارة الإسلامية معادية للنماذج الغربية "الأفكار الغربية عن الفردية والتحررية والدستورية وحقوق الإنسان والمساواة والحرية وسيادة القانون ”.
- " الحدود الفاصلة للإسلام دموية وان مكوناته الداخلية دموية أيضا“ ..
- المشكلة الأساسية بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام نفسه الذي يعتبر حضارة متباينة أصحابها مقتنعون بتفوق ثقافتهم ويملكهم هاجس الإحساس بدونية قوتهم ".
- الثقافة والدين أساس قيام منظمة التعاون الاقتصادي التي جمعت معاً عشر دول إسلامية غير عربية: إيران، باكستان، تركيا، أذربيجان، كازاخستان، قرغيزستان، تركمانستان، طاجيكستان، أوزبكستان وأفغانستان".
- دعم الغرب لسلوفينيا وكرواتيا – دعم روسيا للصرب –الغرب ضد هجمات الصرب ضد المسلمين ولكن لم يتحرك ازاء هجمات الكروات
- “إن المعتقدات الغربية العالمية تفترض أن شعوب العالم بأسره لابد أن تعتنق القيم والمؤسسات والثقافة الغربية ,لأنها تجسد أوفى فكر ,ولأنها أكثر استنارة وليبرالية وعقلانية وحداثة وتحضرا ”
- الفرو قات والصراعات داخل كل حضارة من الحضارات هي فروقات بالغة الحدة ,وأحيانا تتجاوز في حدتها الفرو قات المفترضة بين الحضارات الأخرى .

هنتغتون :الإسلام والحروب

- دعا هنتغتون في محاضرته التي ألقاها في كلية كولورادو في عام 1999 الأمريكيين لأن يجددوا أنفسهم حيال هذا الخطر الداهم الذي يهدد وجودهم ووجود حضارتهم والحضارة الغربية بوجه عام خلال القرن الواحد والعشرين.
- الحروب" التي شنها المسلمون منذ عام 1980 حتى يصل إلى أن من الأسباب التي أدت إلى اندلاع الحروب في البلقان وكشمير والهند وغيرها في التسعينيات من هذا القرن هي بسب المسلمين أنفسهم بحيث إن نصف الصراعات العرقية في العالم تقريباً يقاتل فيها المسلمون وبحسب تصنيف وزارة الخارجية الأمريكية هناك خمس من الدول السبع هي من الدول الإسلامية الداعية للإرهاب.
- ويضيف هنتغتون أن عمليات الإرهاب الإسلامي كانت قبل ذلك متفرقة ويذكر مثلاً على ذلك ما حصل لثكنات البحرية الأمريكية في بيروت 1983 والسفارات الأمريكية 1998 وتجاهل تماماً الإرهاب الصهيوني ضد صبرا وشاتيلا عام 1982 ومجزرة قانا جنوب لبنان , وأطفال العراق , وملجأ العامرية في شباط /فبراير 1991 وليبيا 1986 وتدنيس الحرم القدسي من قبل الإرهابي شارون في 28 أيلول 2000

صدام الحضارات

- بمقالة "صدام الحضارات" يحمل أسامة بن لادن مسؤولية انبثاق "صراع الحضارات" و"الحرب المقدسة" على الولايات المتحدة , طالباً من المسلمين قتل الأمريكيين بلا تميز محاولاً بجهد تجنيد المسلمين للجهاد وأن ما تقوم به الولايات المتحدة هو حرب عالمية على الإرهاب فإنه يؤكد أنه أياً كان الأمر فإن هناك احتمالات نشوب صراع عام بين الحضارات القائمة الآن .
- ويراهن هنتغتون على تناقص معدلات الولادة في العديد من البلدان الإسلامية الأمر الذي سيفقدها "العنصر" الحيوي في الحروب وعنصر الشباب وبالتالي يتلاشى عصر الحروب الإسلامية في ثنايا التاريخ , ويعقبها عصر جديد تهيمن عليه أشكال جديدة أخرى من العنف بين شعوب العالم . أي أنها ستبدأ بـ "صراع" جديد مع الحضارات حيث يختفي دور الدول الإسلامية ويقل وزنها في الشؤون العالمية .
- لا ينفك عن التشديد على أن ما يحكم العالم ليس إلا "صراع الحضارات" بمختلف أشكاله, حيث الغرب المحور الرئيسي فيه .
- يقول إدوارد سعيد أن المصدر الذي استمد منه هنتغتون مقولاته هو ذلك النوع من الفكر المحارب على موضوع يعود لعام 1990 كتبه محارب مستشرق قديم هو ليونارد لويس الذي تظهر ألوانه الأيديولوجية في موضوعه "جذور الغضب الإسلامي".

نظرية هنتغتون مفهومياً خاطئة

- في تاريخ الفلسفة هناك جدل قائم حول إستعمال تعبير الحضارة، في الفلسفة العربية والإسلامية، الحضارة هي ممن حضر ممن هو قائم في مكان معين وارتبط بأرض معينة (اقامة طويلة).
- في الفلسفة الغربية :استعمل تعبير الحضارة أحياناً بالمفرد وأحياناً أخرى بالجمع.
- هناك تياران في الفلسفة الغربية، جزء يمثل الفلسفة الفرنسية والجزء الآخر يمثل الفلسفة الأميركية، التي تعتقد بوجود حضارات متنافسة.
- الفلسفة الألمانية وجزء من الفلسفة البريطانية والأميركية يقول بوجود حضارة واحدة. بمعنى أن البشرية تنتقل من حضارة الى حضارة وأن الحضارة هي مجموعة قيم جاءت من ثقافات وديانات مختلفة لكنها تتضمن أشخاصاً مختلفين وأشخاصاً متفقين.
- هذا يظهر التقاء بين الفكر الألماني والفكر العربي الإسلامي القديم ابن خلدون مثلاً، يقول بوجود حضارة وليس حضارات .

البروفسور اسبوزيتو :

1. "المسلمون يحسنون التعلم والفعل
2. الشريعة الإسلامية شرع الله
3. غير المسلمين عاشوا تحت حكم الإسلام في وضع أفضل من عيشهم تحت الحكم الأجنبي السابق له.
4. الحكام المسلمين كانوا أكثر مرونة وتسامحا معهم ,وأنهم دفعوا ضرائب أقل في ظل الإسلام ,والاضطهاد الذي عاناه أهل البلاد الأجنبي دفع المسيحيين واليهود لمساعدة جيوش المسلمين لفتح بلادهم .
5. "الأصولية الإسلامية ""غولا جاهزا "يستخدمه الغرب
6. الإسلام تحدا يواجه الحضارة الغربية باعتباره أسلوبا مختلفا عن حياة الغرب
7. نظرية هنتغتون استفزازية وفهمه متحجر لمعنى الحضارات .

النقد السياسي للأطروحة

- من الذي أعطى التفويض لهذا أو ذلك لكي يتحدث باسم الحضارة.
- إن مقولة صدام الحضارات طرحت على نطاق واسع لتفسير هجمات أيلول 1..2 وتداعياتها ،وهي مقولة فقيرة نظريا ومعرفيا ،وليس هناك ما يؤكد صحتها تجريبيا من واقع السجل التاريخي للصراعات الدولية
- امريكا تريد من هذه الاطروحات التمهيد لصيغة جديدة لنظام امبراطوري تنتقل فيه من القطب الواحد الى موقع المركز الامبراطوري (الهيمنة السياسية والثقافية الشاملة)عبر انشاء وعي كوني واحد وشامل وفرض الاتباع الثقافي والحضاري على مختلف شعوب العالم
- لو انتفت الخلافات السياسية سينتفي الصدام
- انحسار قوة كل من المعيارين الإيديولوجي والإستراتيجي
- تبدأ علامات الصدام مع اهتزاز مكانة الامبراطورية (الاسلامية والرومانية كانتا متسامحتان بسبب قوة تجذر عقيدتهما بعكس الانظمة الامبراطورية الاسبانية والبرتغالية والبريطانية التي عملت على الابادة الجسدية والثقافية للشعوب

نقد الصدام

- عندما نقول صراع الحضارات فمعنى ذلك أننا عدنا الى القرون الوسطى، لأن جوهر الخلاف بيني وبينك لم يعد خلافاً قائماً على الرأي بل بات قائماً على فكرة أنني مختلف معك مهما كان رأيك لأنك أنت مسلم وأنا مسيحي وأنت أبيض وأنا أسمر.
- فكرة صراع الحضارات تتضمن أخلاقية عنصرية تقوم على مبدأ التفرقة العنصرية المعولمة تجعل من الصعب لا بل من المستحيل أن يتفاهم أناس من طوائف وأديان ولغات مختلفة، أنها مشروع تفجير وتخريب لـ85% من دول العالم .
- وبما ان معظم الدول مركبة فهذا يعني أن معظم الدول مهددة بمنع فكرة العولمة نفسها من أن تحقق نفسها، سيما وأن فكرة العولمة قائمة على مبدأ الانتقال الحر للأشخاص والمعلومات والسلع، وإذا قلنا أن الحضارات في مرحلة صدام فهذا يعني أننا نريد أن نبني جدراناً جديدة أخرى قائمة على الثقافة والحضارات مكان حائط برلين .
- ربما حصل في تاريخ الأمم أن هناك صراعات دخل فيها العنصر الحضاري الى حد، إنما بالإجمال فإن فترات التاريخ البشري من التعاون والتفاعل والتجارة... بين حضارة وأخرى هي أهم وأقوى من مراحل التنافر والصدام بينها. وهذا قائم مثلاً بين فرنسا وروسيا المتحالفتين عبر القرنين الماضيين رغم ما حصل، أو بين فرنسا والإمبراطورية العثمانية، أو حتى في حضارات غير عسكرية أو نزاعية كالحضارة الفينيقية مثلاً التي كانت حضارة تجارية، أو حضارة البندقية التي سيطرت بوسائلها التجارية لمدة قرنين أو ثلاثة على شرق المتوسط من دون أن يكون لديها فعلاً مشروع عسكري.

نقد الصدام

- بما ان معظم الدول مركبة فهذا يعني أن معظم الدول مهددة بمنع فكرة العولمة نفسها من أن تحقق نفسها، سيما وأن فكرة العولمة قائمة على مبدأ الانتقال الحر للأشخاص والمعلومات والسلع، وإذا قلنا أن الحضارات في مرحلة صدام فهذا يعني أننا نريد أن نبني جدراناً جديدة أخرى قائمة على الثقافة والحضارات مكان حائط برلين .
- ربما حصل في تاريخ الأمم أن هناك صراعات دخل فيها العنصر الحضاري الى حد، إنما بالإجمال فإن فترات التاريخ البشري من التعاون والتفاعل والتجارة... بين حضارة وأخرى هي أهم وأقوى من مراحل التنافر والصدام بينها. وهذا قائم مثلاً بين فرنسا وروسيا المتحالفتين عبر القرنين الماضيين رغم ما حصل، أو بين فرنسا والإمبراطورية العثمانية، أو حتى في حضارات غير عسكرية أو نزاعية كالحضارة الفينيقية مثلاً التي كانت حضارة تجارية، أو حضارة البندقية التي سيطرت بوسائلها التجارية لمدة قرنين أو ثلاثة على شرق المتوسط من دون أن يكون لديها فعلاً مشروع عسكري.
- يقول ول ديورانت :"إن الحروب بين الأمم ليست من صنع أشخاص, بل هي شكل من علاقات العداء والصراع لتحقيق مصالحها في الهيمنة الاقتصادية والثقافية ".

النقد

- ان الهويات تصنع ولاتولد مع الانسان, فالهوية شيء مصنوع وهناك فرق بين الهوية كانتماء إلى جماعة أنت واع إلى هذا الانتماء وبين تحويل الهوية الى أيديولوجيا أي "سياسات الهوية "أي تحويل العصبية التلقائية إلى ايديولوجيا وبنية مثل صراع الحضارات حيث تم التعامل مع الهويات كشيء موجود وداخل في صراعات وليس أنه في كل هوية هناك عشرات الصراعات, واعتبار ان كل هوية شيئ متبدل ومتغير ومجرد ظهور كتاب صدام الحضارات يعني تشكيل هوية من جديد وهذا ما يتوافق وسياسة جورج بوش الابن بالقول "هم يكرهوننا لأننا نحن ".
- جاءت هذه النظرية لتأكد على ما يؤكده منظري المدخل الأصولي الإنجيلي بأن مناخ العلاقات الدولية إنما هو مناخ الصراع الدائم, ولكنه "صراع العقائد "لا "صراع المصالح القومية ".وفي مجال الصراع العقائدي على ها المستوى, يستصحب الأصوليون مجموعة مفاهيم قدرية, أهمها مفهوم "نهاية الزمن "الذي تناوله كل من ""أوغسطين ",ثم "هيغل ",ثم واصل المهمة "فرنسيس فوكوياما "".فالتاريخ البشري يسير نحو نهاياته بطريقة قدرية لا تحكمه فيها عوامل سياسية ولااقتصادية, وإنما تجره عوامل قدرية نحو الفصل الخاتم, فصل الصراع الدامي والمعارك المهلكة التي ستتمخض عن جيل الخلاص الذي سيمسح اوضار الشرك والعلمانية ويجلب عهد السلام الأبدي

نقد الصدام

- **ترتبط نظرية "صدام الحضارات "بـ"نظرية الفراغ "**فقد حاول هنتغتون من خلال عرضه لنظريته تنفيذ مشروع أمريكي بخلق عدو جديد وذلك بعد أن زال العدو القديم المتمثل بالشيوعية أو ما يعرف بالخطر الأحمر للانتقال إلى خطر جديد وهو الخطر الأخضر أو الإسلام
- أمريكا تريد من هذه الأطروحات التمهيد لصيغة جديدة لنظام إمبراطوري تنتقل فيه من القطب الواحد إلى موقع المركز الإمبراطوري (الهيمنة السياسية والثقافية الشاملة)عبر إنشاء وعي كوني واحد وشامل وفرض الإتباع الثقافي والحضاري على مختلف شعوب العالم
- من الذي أعطى التفويض لهذا أو ذلك لكي يتحدث باسم الحضارة.
- إن مقولة صدام الحضارات طرحت على نطاق واسع لتفسير هجمات أيلول 2001 وتداعياتها ،وهي مقولة فقيرة نظريا ومعرفيا ،وليس هناك ما يؤكد صحتها تجريبيا من واقع السجل التاريخي للصراعات الدولية .
- لو انتفت الخلافات السياسية سينتفي الصدام
- انحسار قوة كل من المعيارين الإيديولوجي والإستراتيجي

"النظام الدولي والاضمحلال السياسي: من الثورة الصناعية إلى عولمة الديمقراطية«فوكوياما

- يعد دراسةً لمسار ومسيرة التنمية السياسية بعد أطروحته الأولى التي كتبها بعد الحرب الباردة، والمعروفة بـ"نهاية التاريخ"، التى أكد فيها أن الملكية والفاشية والشيوعية كلها قد سقطت، ووقفت الديمقراطية الليبرالية وحدها كأفضل وأنجح نظم الحكم. وبرغم أنها لم تكن كاملة، فإنها ظلت تكافح في وجه مشكلات الفقر، والظلم، وعدم المساواة، لكن كل تلك المشكلات كانت مبدئية، وستتلاشى مع التطبيق الكامل لمبادئ الديمقراطية، إلى أن أُبتليت تلك الأخيرة بعيوب في داخلها، بما جعل مبادئها الأساسية متناقضة في ذاتها.
- لذا، يؤكد فوكوياما، من خلال استعراضه لتاريخ التنمية السياسية منذ الثورة الفرنسية حتى الآن، أن تطبيق الديمقراطية الليبرالية لا يسير بالشكل المطلوب، فالتنمية السياسية سارت في دروب مختلفة حول العالم، حيث استطاعت الدول أن تجد طرقا لدمج المكونات الثلاثة الأساسية لأي نظام سياسي، وهي المؤسسات، والمحاسبة، وحكم القانون.
- ويسلط الكاتب الضوء في هذا الصدد على الولايات المتحدة، التى عدها أفضل نماذج التنمية السياسية في القرن العشرين إلا أنها الآن تعاني "الاضمحلال السياسي"، حيث تفقد واشنطن قدرتها على الحكم والتصرف في المصالح العامة. ومن ثم يتساءل فوكوياما: هل ستهب قوى المحاسبة والتجديد لإنقاذ نموذجها السياسي، أم ستكتشف الديمقراطيات الليبرالية أن فلسفتها الحاكمة تعاني تناقضات داخلية؟.

صراع الجهالة :صدام الحضارات يؤكد على تفوق الحضارة الغربية

لقد ظلت فكرة (الغرب مقابل البقية) النموذج الأساس الذي لا يُمسّ، إذ تعدّ تعبيرًا آخر يقابل نموذج الحرب الباردة، فهي استمرار لها على نحو من الخبث والدهاء غير المصرّح بهما، في الأعمّ الأغلب. وبخاصّة مع أي سجال بعد أحداث ١١ سبتمبر الرهيبة. لقد حول الهجوم الانتحاري -الذي كان بدافع مَرَضي، وأدَّى إلى جريمة بشعة ذهب ضحيتها مجموعة كبيرة من الأبرياء من قبل مجموعة صغيرة متشدّدة وخطرة- نظرية هانتنغتون إلى حقيقة مثبتة. فبدلاً من رؤية الأمور على ما هي عليه -بحيث لا تستنتج الأفكار الكبيرة (وأنا هنا أستعمل الكلمة تجاوزًا في التعبير)[٤] من خلال سلوك عصابة صغيرة من المتعصبين المختلّين عقليًّا نفذوا عملهم لأغراض إجرامية-، يقوم نخبة من قادة العمل السياسي الدولي بدءًا من رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة بينظير بوتو[٥] وليس انتهاءً برئيس الوزراء الإيطالي سيلفيو برلسكوني الذي بدا وكأنه يقدّم عِظة عن المعاناة التي لحقت بالعالم الغربي بسبب الإسلام، حيث استعمل الأخير أفكار هانتنغتون حول التفوّق الغربي للتشدق بها، وكيف أن «الغرب» لديهم (موزارت) و(مايكل أنجلو) فيما لا يملك الآخرون أولئكم النماذج من المبدعين (قدّم برلسكوني بعد ذلك اعتذارًا فاترًا لا يوازي حجم الإهانة التي وجّهها لـ«الإسلام»)[٦].

التعاطي الغربي مع الشأن الإسلامي

وما يلفت الانتباه أننا لا نرى نظيرًا لمعاملة أسامة بن لادن وأتباعه من المسلمين، التي هي باعتراف الجميع أقل ضررًا في قدرتها التخريبية، مع ما يقوم به الآخرون من الطوائف

---

(٤) يشير إدوارد سعيد إلى أنه في وصفه لنظرية هانتنغتون بالأفكار الكبيرة فيه نوع من التهكّم والاستهزاء.

الأخرى، من قبيل: فرع الداوودية (Branch Davidians)[٧] أو تلاميذ القس جيم جونز (Rev. Jim Jones) في غيانا[٨] أو حركة أوم شنريكيو اليابانية (Aum Shinrikyo)[٩]. وما يؤسف عليه أن الإيكونومست (The Economist) المجلة البريطانية الرصينة لم تقاوم في تغطيتها للأحداث، في عددها الصادر في ٢٢-٢٨ سبتمبر، فكرة التعميم تلك، إذ بالغت في إشادتها بملاحظات هانتنغتون القاسية والشمولية مع ما فيها من حياد عن الجادةّ في تناولها للإسلام. وشاركتها في ذلك مجلة «اليوم» (Today) الأمريكية، في إشادة غير موفَّقة بما ذكره: «هانتنغتون من إشارة إلى أن (في العالم نحوًا من مليار مسلم مقتنعين بتفوق ثقافتهم)، وهي الحال التي تدعوه للقلق من دونية قوتهم تلك»، وهي نتيجة تدعو للتساؤل: هل استفادها هانتنغتون من خلال دراسة ١٠٠ عينة من الإندونيسيين - مثلاً، أو ٢٠٠ من المغاربة، أو ٥٠٠ مصري أو خمسين من البوسنيين؟ ولو فعل، فأي نوع من العينات كانت تلك؟

تأسيس النظرية من خلال التعميمات الفردية(11 أيلول)

وكان من المفترض ألَّا يتمّ الحكم من خلال حادثة محدّدة بحيث تتّخذ وسيلةً لإطلاق شعارات وتعميمات ومحدّدات ثقافية صارمة، فهذه وسيلة عقيمة في صياغة أية نظرية، لدرجة أنه في لحظة ما يغلب عليها التسرّع الناتج عن خلفيّة فكريّة مهّدت لهم نسج عبارات غامضة، فتلتقي هذه الطرق جميعًا في صياغة نوعٍ من الخداع يبرّر تلكم الحواجز المحصّنة ليس بين «الغرب» و«الإسلام» وحسب، وإنما بين الماضي والحاضر أيضاً، بيننا وبين الآخرين، وذلك لنظلّ صامتين لا نحرّك ساكنًا عن مفاهيم مهمّة حول الهوية والجنسية اللتين يدور حولهما خلاف ونقاش لا ينتهيان.

إن اتِّخاذ قرار من جانب واحد لرسم خطوط في الرمال غير واضحة المعالم، ومعها حملات عنيفة، فتصوّر المسألة بأننا نقابل ما انطوت عليه نفوسهم الشّريرة تجاه ما نملك من نيات حسنة، وأن الغرض من هذه الحملات هو استئصال الإرهاب وكذلك، كما في مفردات بول وولفويتز (Paul Wolfowitz)[١١] العدمية، إنهاء بقية الشعوب تمامًا. إن ذلك كله لا يجعل من اليسير أبدًا أن نرى تلكم الكيانات المفترضة؛ بل وأكثر من ذلك، إنها تتحدث كيف أن تلك التصريحات العدائية وما يستتبعها من تعبئة جماعية للمشاعر أيسر من دراسة ومعاينة وفرز ما نتعامل معه في الواقع، الذي هو ترابط بين عدد لا يحصى من أطياف الحياة، في «حياتنا» كما هي الحال في «حياتهم».

تشويه الإسلام من قبل أبنائه

في سلسلة رائعة من مقالات ثلاث نُشرت في الفترة ما بين شهري يناير ومارس من العام ١٩٩٩ في مجلة الفجر (Dawn) الباكستانية، التي تعد من المجلات الأسبوعية الرصينة، كتب الراحل «إقبال أحمد»[١٢] موجهًا مقالاته تلك إلى الجمهور المسلم، ومحللًا فيها ما وصفه بجذور اليمين الديني، ومنتقدًا ما وصفه بتشويه الإسلام من قبل أنماط الحكم المطلق والشمولي الذي يمارسه الطغاة وأعوانهم من الطبقة الدينية المتعصّبة، حيث يتركّز اهتمام هاتين الطبقتين على قضايا السلوك الشخصي وما يعرف بقوانين الأحوال الشخصية، وهو ما يساهم في «تجريد النظام الإسلامي من قوانين العقوبات، ومن روحه الإنسانية، وما يحمله من جماليات، وإجابات لأسئلة فكرية مهمّة، ومعها ما يعززه في اتّجاه الإخلاص الروحي لدى الإنسان».

ومن ناحية أخرى، يشير أحمد إلى أن ما يُثار حول الإسلام «ينطوي على تأكيدات مطلقة، وتصوير عام لا يؤخذ فيه السياق الخاص الذي وضع فيه، ويتم التركيز على جانب واحد من جوانب الدين، وتجاهل تامّ لجوانب أخر. وهي ظاهرة أينما وقعت، فإنها تشوه الدين، وتحط من قيمة التقاليد، وتحرف العملية السياسية عن مسار تقدّمها».

الحضور الإسلامي المتصاعد في العالم الغربي

إن أحد الأسباب الأخرى لاستمرار هذه الظاهرة هو الحضور المتزايد للمسلمين في جميع أنحاء أوروبا والولايات المتحدة. فعندما نُفكّر اليوم في عدد سكان فرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، وإسبانيا، وبريطانيا، وأمريكا، وحتى السويد، يجب الاعتراف بأن الإسلام لم يعد على هامش الهوية الغربية، وإنما غدا جزءًا لا يتجزَّأ منها. ولكن هذا الحضور الإسلامي الواسع دائمًا ما يُستدعى فيه ذلكم الشعور بالتهديد للهوية الأوروبية، التي تستبطن في ذاكرتها تلكم الفتوحات العربية الإسلامية الواسعة، التي بدأت في القرن السابع الميلادي والتي، كما كتب المؤرخ البلجيكي الشهير هنري بِيرَيْن (Henri Pirenne)[١٧] في كتابه التاريخي المتميّز «محمد وشارلمان» (Mohammed and Charlemagne) (١٩٣٩)[١٨]، حطمت في لحظة واحدة تلكم الوحدة المتوسطية القديمة، ودمرت التوليفة التاريخية بين المسيحية والرومانية وأدت إلى صعود حضارة جديدة هيمنت عليها القوى الشمالية (ألمانيا وفرنسا الكارولنجية) التي كانت مهمتها، كما يظهر من حديثه، هو استئناف الدفاع عن «الغرب» ضد أعدائه تاريخيًّا وثقافيًّا. وما أهمل بِيرَيْن الحديث عنه، للأسف، هو أن إنشاء هذا الخط الجديد من حماية الغرب وجَّه الأنظار إلى تلكم القيم الإنسانية، ومبادئ العلوم، والفلسفة، وعلم الاجتماع وعلم التاريخ في الإسلام، الذي كان بالفعل [أي الإسلام] وسيطًا بين عالم شارلمان[١٩] والعصور الكلاسيكية القديمة. كان الإسلام متغلغلاً في العمق الأوروبي من البدء، وهو أمر يقرّه دانتي (Dante)، العدو الأكبر لـ [لنبي] محمد [ﷺ]، الذي كان عليه أن يعترف بذلك عندما وضع النبي في قلب «جحيمه»[٢٠].

التعدديات الدينية والقواسم المشتركة

وبجانب ذلك، هناك استمرارية الإرث التوحيدي نفسه من خلال الانتماء إلى الأديان الإبراهيمية، كما أطلق عليها في تسمية مناسبة لويس ماسينيون. بدءًا من اليهودية والمسيحية، حيث كل منهما ملتزمة خلافةَ الأخرى حسب تقدم إحداهما على الأخرى؛ وحسب المسلمين، فإن الإسلام امتداد لهما، وبه يكتمل ويُختتم خط النبوة. وما يؤسف عليه، أنه لا يوجد حتى الآن تاريخ محايد يُميط اللثام عن حقيقة ذلكم الصراع متعدد الجوانب بين أتباع هذه الأديان الثلاثة، التي لا يوجد بين أي منها تجانس أو تآلف [في الواقع] بأية وسيلة من الوسائل بحيث تكون في معسكر يوحدها فيه محبتها لله تعالى الذي يجمعهم. وفي مقابل البعد الديني، تشهد فلسطين تصادمًا دمويًّا يقدّم نموذجًا خصبًا في صورته المدنيّة لما يمكن أن يمثّل تناقضًا مأساويًّا بين هذه الأديان. ولذلك ليس من المستغرب، أن يتحدّث المسلمون والمسيحيون بسهولة عن الحروب المقدّسة والهجمات الجهادية فيما بينهم، متجاوزين ذلكم الحضور اليهودي في حالةٍ غير مبالية. إن مثل هذه الأجندة، كما يقول إقبال أحمد، تحمل في طياتها «حالاً من الاطمئنان العالية لكل من الرجال والنساء الذين تقطعت بهم السبل في منتصف المخاض، بين مأزق التشبّث بما تمليه عليهم التقاليد وبين تبنّي الحداثة».

ولكننا جميعًا نخوض غمار ذلكم الصّراع المحتدم، الغربيين والمسلمين وغيرهم على حدٍّ سواء. وما دام ذلكم الصّراع جزءًا من المحيط الكبير للتاريخ، تظل محاولة القضاء عليه أو تقسيمه من خلال حواجز مصطنعة أمرًا غير مجدٍ. فهناك لحظات تاريخية متوترة، من الأفضل إعادة نمط التعاطي معها على أنها نتيجة صراعات بين مجتمعات قوية وأخرى ضعيفة، وأنها سياسة مدنية بين العقل والجهل، ومبادئ عالمية تتصارع فيها العدالة مع الظلم، بدلاً من تسوّل أفكار غامضة وواسعة قد تعطي لحظة من الارتياح النفسي مع قليل من المعرفة والتحليل المستنيرين. إن نظرية «صراع الحضارات» هي وسيلة للتحايل تماثلها أطروحة ويلز في روايته «حرب العوالم» (The War of the Worlds)[٢١]. وهي نظرية لتبرير الاعتزاز بالذات أكثر منها أن تكون فهمًا نقديًّا لتداخل العلاقات في عصرنا الحاضر.